أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان كافرا أم مؤمنا

(peace and blessings of God be upon him and his family), was he a disbeliever or a believer Abu Talib, the uncle of Prophet

م. د. أحمد عدنان عبود وتوت

الكلمات المفتاحية: أبو طالب، عم النبي، ما قبل الإسلام، الاسلام.

ملخص البحث:

تناول البحث التعريف بالسيرة والهوية الشخصية لأبي طالب عم النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والوقوف على أصل الرواية التي ذكرت بأنه مات كافر وتفنيدها بالأدلة المنطقية عن طريق البحث في سند الرواية ومتنها ودحضهما، وبعد ذلك تناول الروايات التي أشارت الى ايمانه، والمواقف والأشعار التي اتخذها أبا طالب في الحماية والدفاع عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والاسلام؛ حتى عندما توفي بكى عليه النبي وحزن حزنا شديدا؛ وأنه هاجر الى يثرب لكونه قد فقد ناصره وحاميه من كيد المشركين.

Abstract:

The research dealt with defining the biography indentity of Abu Talib, the uncle of the noble prophet Muhammad(may God bless him and family and grant them peace) To determine the origin of the story that he died as an infidel and refute it with logical

evidence by searching the chain of transmission and the story and refuting them both.

المقدمة:

يعد موضــوع ايمان أبي طالب عم النبي الأكرم محمد(صــلى الله عليه وآله وسـلم) من عدمه من المواضــيع القديمة الجديدة؛ لما يحمل في طياته من انعكاســات على التاريخ برمته؛ لأنه اذا كان مؤمنا فهذا يجب أن يكون له تجليات وآثار ايجابية على التاريخ الاسلامي قديما وحديثا، وإذا كان مشركا ومات على ذلك فمن المنطقي أن تكون لذلك مردودات سلبية وبالأخص على سيرة النبي الأكرم محمد(صـلى الله عليه وآله وسـلم) وسـيرة ولده بطل الإسـلام الخالد علي بن أبي طالب(عليه السـلام)، وإن كان أن القرآن الكريم أشـــار الى أن لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]؛ لكنا افترضا تلك الفرضيات فيما يخص المدح أو الذم؛ لأننا نعلم أن معظم التاريخ كتبه ذوو النفوذ والمال أو كُتب لهم، والكثير من المؤرخين كانوا ناقلين للأخبار من غير تمحيص أو تحليل؛ بل منهم من ســاق الخبر وفقا لرؤية من يدفع له أو يأمره بالكتابة، وأذكر على ســبيل المثال لا الحصــر: " فعندما رأى المنصور العباسي أن أئمة أهل البيت عليهم السلام من العلويين هم المرجعية العلمية للأمة، فكر أن يؤسس في مقابلهم مرجعية وينشئ مذاهب؛ فلجأ إلى مالك بن أنس(ت: 179هـــ) مولى بني الأصبح فقال له: إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك وإني قد شغلتني الخلافة فضع أنت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة قال مالك فو الله لقد علمني التصــنيف يومئذ"[2]؛ فهنا أراد الحاكم كتابا على مقاســاته ووفقا لرغباته لا كما هي الحقيقة؛ ولذا فإننا سنخوض في شخصية أبا طالب وسنأخذ الروايات والأخبار الواردة بحقه ونُخضعها للتدقيق والتحليل والمقارنة لتتبين لنا الحقيقة ما أمكننا ذلك، ونسأل الله تعالى التوفيق.

سيرته الشخصية: هو: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر

[1] سورة الأنعام، الآية: 164.
[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 17/1.

بن نزار بن معد بن عدنان[3]، كنيته أبا طالب[4]، وهو شقيق عبد الله بن عبد المطلب والد النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)[5]، وقيل: اسمه عبد مناف، وقيل: عمران، وقيل: اسمه كنيته[6]، والأول أظهر لقول والده: أوصيك يا عبد مناف بعدي بموحّد بعد أبيه فرد[7].

هو سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة بعد وفاة أَبَيِّه عبد المطلب، وكان شيخا جسيما وسيما، عليه بهاء الملوك ووقار الحكماء، حتى أنه قيل لأكثم بن صيفي حكيم العرب ممن تعلمت الحكمة والرياسة والحلم والسيادة؟، قال: من حليف الحلم والأدب سيد العجم والعرب أبا طالب بن عبد المطلب[8]، وأبو طالب سيدا شريفاً، مطاعا، مهابا[9]، وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية[10]، وقال ابن أبي الحديد في فضل أمير المؤمنين عليه السلام: " ما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة؟، وقالوا : قلَّ أن يسود فقير، وساد أبو طالب وهو فقير لا مال له، وكانت قريش تسميه " الشيخ" ..."[11]، مات أبو طالب في النصف من شوال[12]، في السنة العاشرة من المبعث، وكان له يوم مات بضع وثمانون سنة[13]، ودفن بمكة في[مقبرة] الحجون[14].

كفالته للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم):

ذكر المؤرخون أن الحدث الأبرز في حياة أبا طالب هو كفالته ورعايته للنبي(صلى الله عليه وآله)، فقد أشاروا الى أنه لما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله(صلى الله عليه وآله

---

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: 143/1.

(4) وهذه الكنية غلبت على اسمه، فصار يعرف بها حتى وإن لم يُذكُر اسمه. ابن سعد، الطبقات الكبرى: 34/4؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل: 192/6؛ ابن حبان، الثقات: 41/1؛ ابن الأثير، أُسد الغابة: 286/1.

(5) أبي الفدا، المختصر في أخبار البشر: 113/1.

(6) القمي، الكنى والألقاب: 108/1-109.

(7) ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق: 47؛ البيهقي، دلائل النبوة: 22/2؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: 34/1.

(8) المجلسي، بحار الأنوار: 134/35.

(9) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: 12/2.

(10) الحلبي، السيرة الحلبية: 184/1.

(11) شرح نهج البلاغة: 29/1.

(12) الميلاني، هوامش على كتاب المرتضى: 16.

(13) ابن حجر، الاصابة: 202/7.

(14) الغروي، موسوعة التاريخ الاسلامي: 639/1.

وسلم) وحياطته، وكان أبا طالب يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وصب به أبو طالب صبابةً لم يصب مثلها بشيء قط، وكان يحيطه بالطعام، وكان عيال أبي طالب جميعا أو فرادى[اذا أكلوا] لم يشبعوا؛ وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم[شبعوا]، فكان إذا أراد أن يغذيهم قال كما أنتم حتى يحضر ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك، وكان الصبيان يصبحون رمصا شعثا ويصبح رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم دهينا كحيلا[15]، وظل في أحضان عمه أبي طالب وزوجته فاطمة بنت أسد الهاشمية، لا يشعر بالغربة بين أولادهم ولا يحس بمرارة اليتم والحاجة، ووجد منهما من الحرص والرعاية فوق ما يتصوره إنسان من أبوين مع وحيد عزيز عليهما، وبلغ من حرص فاطمة بنت أسد عليه أنها كانت في سنين الجدب والقحط التي مات فيها الناس جوعا وعطشا، تحرم أولادها من القوت الضروري وتطعمه إياه، وبمجرد أن يمد يده إلى الطعام تحل البركة فكلهم يأكلون ويشبعون والزاد كما هو، واستمرت تعامله بهذه المعاملة الفدائية إلى أن شب وترعرع[16].

الروايات التي تشير الى عدم إيمانه:

من خلال اطلاعنا على حياة أبي طالب لم نر رواية تحدثت عن أنه كان كافرا، والروايات التي تتحدث عن كفره وردت بعد وفاته، وبعد البحث المعمق في كتب السيرة والتاريخ وجدنا أن أول تلك الروايات كانت رواية ابن اسحاق(ت: 151هـ) وسنوردها كاملة لنحللها فيما بعد، فقد قال: " نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما مات أبو طالب أتيت رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم فقلت: أن أبا طالب عمك الكافر قد مات، فقال رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم: اذهب فواره، فقلت: والله لا أواريه، فقال: فمن يواريه إن لم تواره فانطلق فواره ثم لا تحدث شيئا حتى تأتيني، فانطلقت فواريته ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم فقال انطلق فاغتسل ثم ائتني، ففعلت ثم أتيته فلما أتيته دعى لي بدعوات ما أحب أن لي بهن ما على الأرض من شيء"[17].

سنذكر أولا من أخذ هذه الرواية عن ابن اسحاق حتى انتشرت في كتب التاريخ وغيرها، مع استبدال عبارة " عمك الشيخ الضال بدل الكافر"، الكتب هي:

1- عبد الرزاق الصنعاني(ت: 211هـ)، المصنف: 39/6.

(15) ابن سعد، طبقات ابن سعد: 118/1-120.
(16) الشاكري، شيخ البطحاء أبو طالب(ع): 43.
(17) سيرة ابن اسحاق: 223(الحديث: 330).

2- ابن سعد، الطبقات الكبرى(ت: 230هـ): 123/1.
3- ابن أبي شيبة الكوفي(ت: 235هـ)، المصنف: 55/3.
4- أحمد بن حنبل(ت: 241هـ)، مسند أحمد: 131/1.
5- سليمان بن الأشعث السجستاني(ت: 275هـ)، سنن أبي داود: 83/2.
6- النسائي(ت: 303هـ)، السنن الكبرى: 107/1.
7- أحمد بن عبد الحسين البيهقي(ت: 458هـ)، السنن الكبرى: 398/3.
8- عبد الله بن قدامة(ت: 620هـ)، المغني: 410/2.
9- عبد الرحمن بن قدامة(ت: 682هـ)، الشرح الكبير: 315/2.
10- ابن كثير(ت: 774هـ)، البداية والنهاية: 154/3.

سنكتفي بهذه المصادر، وقبل أن نشرع في مناقشة المتن سنناقش السند وفق مبدأ الجرح والتعديل، ونبدأ بأول راوٍ في الرواية والذي روى عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) وهو ناجية بن كعب فقد قال عنه العجلي(ت: 261هـ) أنه: كوفي، تابعي، ثقة[18]، وقال عنه ابن حبان(ت: 354هـ): " ناحية بن كعب: من أهل الكوفة وهو الأسدي، يروي عن علي، روى عنه أبو اسحاق وأبو حسان الأعرج، كان شيخا صالحا إلا أن في حديثه **تخليط** لا يشبه حديث أقرانه **الثقات** عن علي، فلا يعجبني **الاحتجاج** به إذا انفرد، وفيما وافق حديثه الثقات فإن احتج به محتج أرجو أنه لم **يحرج** في فعله ذلك[19]، وقال عنه ابن شاهين(ت: 385): " ناجية بن كعب: صالح وقال عنه شعبة لقيت ناجية الذي روى عنه أبو اسحاق فرأيته يلعب بالشطرنج"[20]، وقال عنه الذهبي: " توقف فيه ابن حبان"[21]، وفي مكان آخر قال عنه: " ... وقال الجوزجاني في الضعفاء: مذموم"[22]، ولم يذكر في أي مصدر من مصادر الثقات، أو النبلاء.

من خلال آراء العلماء والمؤرخين والرجاليين فيه يتضح لنا أنه ليس من الثقات ولا يمكن الاعتداد برأيه وأخذ حديثه؛ وبذلك لا يمكننا التسليم بروايته والبناء عليها؛ وبذلك تكون الرواية ساقطة، ومعلوم

(18) معرفة الثقات: 308/2.
(19) المجروحين: 57/3.
(20) تاريخ أسماء الثقات: 243.
(21) المغني في الضعفاء: 449/2.
(22) الذهبي، ميزان الاعتدال: 239/4.

لدى المؤرخين أن الرواية تسقط إذا سقط أحد رواة سندها، ولا يمكن عدّها دليلا على عدم إيمان أبي طالب، ولا داعي لترجمة باقي سند الرواية.

بعد أن تبين لنا عدم دقة سند الرواية لنتحقق من متنها، حيث كان في الرواية ثلاثة أمور رئيسة:

الأمر الأول: إخبار الإمام علي(عليه السلام) النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم): " أن عمه الكافر أو عمه الشيخ الضال قد مات".

الأمر الثاني: امتناع الإمام علي(عليه السلام) من تنفيذ أمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من دفن أبيه.

الأمر الثالث: دعاء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام علي(عليه السلام) بدعوات كن أحب له مما على الأرض من شيء.

فيما يتعلق بالأمر الأول فنرى أنه كذب محض وتدليس بحق علي(عليه السلام)؛ لأنه كان يعلم وواثق بإيمان أبيه ومن بداية الدعوة فعندما كان يصلي خلف النبي وجاء والده ومعه أخيه جعفر، فأمر أبا طالب جعفر بالصلاة معهم، وقد " روى أن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه[وآله] وسلم وعليا رضي الله عنه يصليان وعن يمينه فقال لجعفر رضي الله عنه صل جناح ابن عمك وصلِ عن يساره"[23]، وقال أبو طالب في ذلك شعرا امتدح فيه ابناه علي وجعفر(عليهما السلام):

إن علياً وجعفراً ثقتي عند ملم الزمان والكرب

والله لا أخذل النبي ولا يخذله من يكون من حسبي[24].

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد أورد المؤرخون رواية تشير الى أنه عند سماع خبر وفاة أبا طالب بكى النبي[25]، ومنهم من أورد " فتوجع- النبي[صلى الله عليه وآله]- توجعا عظيما وحزن حزنا شديدا"[26]؛ وبذلك فمن غير المنطقي بمكان أن يتفوه الإمام علي(عليه السلام) بهكذا وصف مشين تجاه أبيه.

وفي الأمر الثاني لم يرد في كتب التاريخ والسيرة أن عليا(عليه السلام) قد خالف أو اعترض على أي أمر أمره به رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأنه استفسر مرة واحدة من النبي(صلى الله

(23) ابن الأثير، أسد الغابة: 287/1.
(24) الأندلسي، تفسير البحر المحيط: 489/8.
(25) العسكري، أبو طالب حامي الرسول(ص) وناصره: 129.
(26) القاضي النعمان، شرح الأخبار: 557/2.

عليه وآله) عندما خلّفه في المدينة وقاد المسلمين في غزوة تبوك سنة(9) هجرية، وهي الغزوة الوحيدة التي لم يشارك فيها الإمام علي(عليه السلام)، فأجابه النبي(صلى الله عليه وآله) بجواب أقر عينه فيه: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي!" [27].

وفيما يخص الأمر الثالث فإن الإمام علي(عليه السلام) لم يفرح بأي شيء من حطام الدنيا ولا يتمناه وكان سعيه للآخرة، وهو الذي طلق الدنيا ثلاثا عندما أتته الخلافة، فقال لها: " يا دنيا غري غيري، ألي تعرضت أم إليَّ تشوفت؟ هيهات هيهات!! لا حان حينك، قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، عمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق"[28].

مما تقدم توضح لنا أن الرواية التي أشارت الى أن أبا طالب مات كافرا قد سقطت ولم تصمد من حيث السند والمتن.

الروايات التي تشير الى ايمان أبا طالب:

أشارت بعض الروايات التي اطلعنا عليها والتي تذكر أن أبا طالب مات كافرا حيث أنه كان على دين عبد المطلب[29]، فلنرى ما الدين الذي كان عليه عبد المطلب جد النبي الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) لنحكم بعدها. " ولما نزل أبرهة المغمس، بعث رجلا من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يرد حربي فأتني به. فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام أو كما قال فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه، فو الله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتيه بك. فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى

---

[27] ابن حنبل، مسند أحمد: 184/1؛ البخاري، صحيح البخاري: 129/5؛ مسلم، صحيح مسلم: 120/7.

[28] المسعودي، مروج الذهب: 421/2.

[29] النويري، نهاية الإرب: 278/16؛ الحلبي، السيرة الحلبية: 47/2.

العسكر، فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقا، فدل عليه، فجاءه وهو في محبسه، فقال: يا ذا نفر، هل عندك غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر، وكان له صديقا: وما غناء رجل أسير في يدي ملك، ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ما عندي غناء في شئ مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائق الفيل لي صديق، فسأرسل إليه، فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير، إن قدر على ذلك. قال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب الملك له مئتي بعير، فاستأذن له عليه، وأنفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل، فكلم أنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك، يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك، فليكلمك بحاجته، وأحسن إليه. قال: فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرد علي مئتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: فأنت وذاك، أردد إلي إبلي"[30]، وقال عبد المطلب في ذلك الموقف:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا إمنعهم أن يخربوا فناكا

وقال أيضا :

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
ولأن فعلت فإنه أمر تتم به فعالك
أنت الذي إن جاء باغ نرتجيك له فذلك

[30] ابن هشام، السيرة النبوية: 33/1؛ الطبري، جامع البيان: 388/30-389؛ النسفي، مدارك التنزيل: 357/4؛ السمعاني، تفسير السمعاني: 284/6.

ولوا ولم يحووا سوى خزى وتهلكهم هنالك
لم أستمع يوما بارجس منهم يبغوا قتالك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدالك[31]

إن المحاورة التي جرت بين عبد المطلب وابرهة الحبشي، والشعر الذي ذكرناه له يثبتان وبدون أدنى شك أن عبد المطلب كان موحدا متبعا لدين الحنيفية(ملة ابراهيم)؛ فرجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله إنها لطير غريبة ما هي نجدية ولا تهامية فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان[32]، وقد أثبت الله تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(5) ﴾[33]، وهناك ثمة دليل آخر على ايمان عبد المطلب وهو: " لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب وسماه محمدا فقيل له ما حملك على أن سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض"[34].

مما تقدم تبين لنا وبالأدلة بأن عبد المطلب كان على دين التوحيد؛ وبذلك فإن أبا طالب كان على دين التوحيد أيضا؛ ومن باب أولى أنه يكون قد آمن برسالة النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وللتعرف أكثر على ايمان أبا طالب سنتعرف على سيرته وأقواله.

ذكر المؤرخون أنه " كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له وكان رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يؤخرونه فيقول عبد المطلب دعوا ابني ويمسح على ظهره ويقول إن لابني هذا لشأنا فتوفى عبد المطلب والنبي ابن ثمان سنين وكان قد كف بصره قبل موته وكان عبد المطلب أول من خضب بالوسمة ولما حضره الموت جمع

(31) الطبري، تاريخ الطبري: 554/1؛ ابن الجوزي، المنتظم: 126/2؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 445/1.
(32) أبي السعود، تفسير أبي السعود: 201/9.
(33) سورة الفيل، الآية: 1-5.
(34) السيوطي، تنوير الحوالك: 727.

بنيه وأوصاهم برسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم فاقترع الزبير وأبو طالب أيهما يكفل رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم فأصابت القرعة أبا طالب فأخذه إليه وقيل بل اختاره رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم على الزبير وكان ألطف عميه به وقيل أوصى عبد المطلب أبا طالب به وقيل بل كفله الزبير حتى مات ثم كفله أبو طالب بعده وهذا غلط لان الزبير شهد حلف الفضول بعد موت عبد المطلب ولرسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم يومئذ نيف وعشرون سنة وأجمع العلماء ان رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم شخص مع عمه أبى طالب إلى الشأم بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين فهذا يدل على أن أبا طالب كفله ثم إن أبا طالب سار إلى الشأم وأخذ معه رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم وكان عمره اثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنين والأول أكثر فرآه بحيرا الراهب ورآى علائم النبوة وكانوا يتوقعون ظهور نبي من قريش فقال لعمه ما هذا منك قال ابني قال لا ينبغي أن يكون أبوه حيا قال هو ابن أخي قال انى لأحسبه الذي بشر به عيسى فان زمانه قد قرب فاحتفظ به فرده إلى مكة"[35]، وذكر ابن شهر آشوب:" كان النبي صلى الله عليه وآله في حجر عبد المطلب فلما أتي عليه اثنان ومائة سنة ورسول الله ابن ثمان سنين جمع بنيه وقال: محمد يتيم فآووه وعائل فأغنوه احفظوا وصيتي فيه، فقال أبو لهب: أنا له، فقال: كف شرك عنه، فقال العباس: أنا له، فقال: أنت غضبان لعلك تؤذيه، فقال أبو طالب: انا له، فقال: أنت له، يا محمد أطع له، فقال رسول الله: يا أبه لا تحزن فان لي ربا لا يضيعني، فأمسكه أبو طالب في حجره وقام بأمره يحميه بنفسه وماله وجاهه في صغره من اليهود المرصدة له بالعداوة ومن غيرهم من بني أعمامه ومن العرب قاطبة الذين يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة"[36]، وبالغ أبا طالب في نصرة والدفاع عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) وعن الدين الذي جاء به، فأعلن مناصرته وتأييده وايمانه على الملأ وقال:

ودعوتني وزعمت أنك صادقَ ولقد صدقت وكنت قبل أميناً

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا[37].

كان شيخ البطحاء أبو طالب الدرع الواقية لرسول الله صلى الله عليه وآله منذ بزوغ شمس الرسالة إلى يوم قبضه الله إليه، حيث وقف كالسد المنيع يحول بين الوثنية – وهي القوة العظمى التي كانت حينذاك تمسك بمقدرات العالم – وبين تحقيق أهدافها في وأد الرسالة السماوية والدعاة إليها .

---

(35) البلاذري، أنساب الأشراف: 85/1؛ ابن الأثير، أسد الغابة: 15/1.

(36) البغدادي، خزانة الأدب: 67/2.

(37) مناقب آل أبي طالب: 34/1.

وله في هذا السبيل مواقف مشهورة تفوق الاحصاء، وإجمالها يحتاج إلى كتاب مفرد، ولكن هذا التأريخ بدفتيه مفتوح بين يديك، ويكفيك أن تطالع فيه صفحات أيام الضغط على رسول الله صلى الله عليه وآله وذويه والمقاطعة الشاملة لهم ، وحبسهم في " شعب أبي طالب " لترى أن أبا طالب كان الرجل الوحيد الذي تعهد حفظهم وحراستهم، وتكفل أرزاقهم، وفي هذا الموقف قال أبا طالب:

ألا أبلغا عني على ذات بيننا لؤياً وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد مودة وخير فيمن خصه الله بالحب
أن الذي ألصقتم من كتابكم لكم كائن نحسا كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنبا كذي ذنب
فلسنا، ورب البيت، نسلم أحمدا لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا به والنسور الطخم يعكفن كالشرب[38].

في الحقيقة أنا أستغرب من ابن اسحاق والحميري وغيرهم ممن رووا الأبيات الشعرية التي ذكرناها آنفا كيف يصفون قائلها بأنه مات كافرا، وكفاك شاهدا على عظم منزلته عند الله ورسوله أن الرسول الأعظم الذي لا ينطق عن الهوى، اشتد وجده وهاج حزنه بعد وفاة عمه وناصره أبي طالب، وسمى ذلك العام بعام الحزن، ولم يمكنه بعدها المقام بمكة فاضطر إلى الهجرة إلى المدينة المنورة .

أما أقوال أبي طالب وأشعاره المثبتة في كتب السير والتواريخ والحديث والتي يرويها المخالف والمؤالف، فهي صريحة في اعترافه برسالة محمد صلى الله عليه وآله ونبوته وأمانته وصدقه، وأنه يوحى إليه من ربه، وخاتم الأنبياء، وتعرب عن كمال إيمانه وحقيقة إخلاصه لصاحب الشريعة، وتفانيه في نصرة الاسلام وحماية بيضته، وكل هذه الأشعار قد جاءت مجئ التواتر، فإن لم تكن آحادها متواترة فمجموعها متواتر يدل على أمر واحد لا غير، وهو إيمانه وتصديقه بمحمد صلى الله عليه وآله كما أن كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة آحادا ومجموعها متواتر، يفيدنا العلم الضروري بشجاعته، وكذلك القول فيما يروى عن سخاء حاتم وحلم الأحنف، وأما ما يروى عن آله وذويه وولده، خاصة أمير المؤمنين علي وأولاده المعصومين عليهم السلام، فصريحة في إثبات إيمانه، ولم يؤثر عنهم ما يخالفه، بل أكدوا أن " إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى ، لرجح إيمان أبي طالب،

[38] ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق: 138؛ ابن هشام، السيرة النبوية: 235/1.

وكتبوا إلى بعض ثقاتهم وخاصتهم " إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار، وأهل البيت أدرى بما فيه، ورغم كل ذلك فقد حاول بعض من في قلوبهم مرض، وممن فاتهم إيذاء رسول الله في حياته ومحاربة دعوته، أن يقوضوا دعامة من دعائم الاسلام المتينة، من خلال تشكيكهم في إيمان أبي طالب، تلك المحاولة التي باءت بالفشل الذريع؛ لأن نور الشمس لا يحجبه غربال، ونتيجة لتصدي جماعة من كبار علماء الاسلام وأعلامه لهم ، وكشف دسائسهم ومكائدهم، وفضح أهدافهم الدنيئة.

ختاما نحن نعلم أن أعمال وتصرفات النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) كلها وحي لقوله تعالى: ﴿ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى(3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4) ﴾[39]، وعندما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[40] لم يذكر لنا المؤرخون والرواة أن النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) فَرِق بين فاطمة بنت أسد التي شهدوا بإيمانها وأبا طالب؛ في حين أنه فَرَّق بين النساء المؤمنات وأزواجهن المشركين، وبين الرجال المؤمنين ونساءهم المشركات، فطلق عمر بن الخطاب مليكة بنت أبي أمية أيضا بنت جرول الخزاعية فتزوجها أبو جهم بن حذيفة وطلق عياض بن غنم الفهري أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب يومئذ فتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي فولدت له عبد الرحمن بن أم الحكم[41].

الخاتمة:

نستخلص من البحث أن الطعن بإيمان أبي طالب(عليه السلام) يعني:

1- طعنا بمؤمن قريش الذي جاهد في سبيل صيانة الرسالة وحفظ الرسول مفتديا بنفسه وأسرته، وبمواقفه وأشعاره.
2- يعني تشويها لصفحة ناصعة فاخرة من صفحات الاسلام الضي يفتخر به المسلمون أحيانا من خلال رموزه السامقة، وشخصياته الجليلة كشخصية أبا طالب رضوان الله عليه.
3- يعني كذلك أمرا مهولا يجر الى الكفر، وهو التعريض بشخصية النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لو كان أبو طالب(عليه السلام) كافرا فكيف يحزن عليه ويبكيه، وكيف يقره على زوجته فاطمة بنت أسد التي أقر جميع المؤرخين على إيمانها!.

---

(39) سورة النجم، الآية: 3-4.
(40) سورة الممتحنة، الآية: 10.
(41) الواقدي، المغازي: 632/1؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: 13/8؛ الطبري، تاريخ الطبري: 285/2.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

- **ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت: 630هـ).**

1- أُسد الغابة في معرفة الصحابة، (انتشارات اسماعيليان- طهران)، د. ت.

2- الكامل في التاريخ، (دار صادر- بيروت)، 1385هـ/ 1965م.

- **الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان(ت: 745هـ).**

3- تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية- بيروت)، 1422هـ/ 2001م.

- **ابن اسحاق، محمد بن اسحاق المطلبي(ت: 151هـ).**

4- سيرة ابن اسحاق، تح: محمد حميد الله، (معهد الدراسات والأبحاث للتعريف- د. م)، د. ت.

- **البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت: 384هـ).**

5- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تح: د. عبد المعطي قلعجي، (دار الكتب العلمية- بيروت)، 1405هـ/ 1985م.

- **ابن أبي حاتم، الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي(ت: 327هـ).**

6- تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، (د. مط- د. م)، د. ت.

- **البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت: 1093هـ).**

7- خزانة الأدب، تح: محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، (دار الكتب العلمية- بيروت)، 1998م.

- **ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين(ت: 656هـ).**

8- شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، (دار احياء الكتب العربية- القاهرة)، 1378هـ/ 1959م.

- **البخاري، الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن برذربه(ت: 256هـ).**

9- صحيح البخاري، (دار الفكر- بيروت)، 1401هـ/1981م.

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت: 346 هـ).**

10- أنساب الأشراف، تح: د. محمد حميد عبد الله، (دار المعارف- مصر)، 1959م.

- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت: 597هـ).**

11- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ت: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية- بيروت)، 1412هـ/1992م.

- **ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم البستي(ت: 354هـ).**

12- الثقات، تح: محمد عبد المعين خان، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- الدكن)، 1393هـ/ 1973م.
13- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تح: محمود ابراهيم زايد، (دار الباز للنشر- مكة المكرمة)، د. ت.

- **ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(: 852هـ).**

14- الاصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية- بيروت)، 1415هـ/ 1995م.

- **الحلبي، علي بن برهان الدين(ت: 1044هـ).**

15- السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، (دار المعرفة- بيروت)، 1400هـ/ 1980م.

- **ابن حنبل، الامام أحمد بن حنبل(ت: 241هـ).**

16- مسند أحمد، (دار صادر- بيروت)، د. ت.

- **الخطيب البغدادي، الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي(ت: 463هـ).**

17- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تح: مصطفى عبد القادر، (دار الكتب العلمية- د. م)، 1417هـ/ 1997م.

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي(ت: 808هـ).**

18- تاريخ ابن خلدون المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط4، (دار احياء التراث العربي- بيروت)، د. ت.

- **الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت: 748هـ).**

19- سير أعلام النبلاء، ط9، تح: حسين الأسد، (مؤسسة الرسالة- بيروت)، 1413هـ/ 1993م.
20- المغني في الضعفاء، تح: أبي الزهراء حازم القاضي،(دار الكتب العلمية- بيروت)، 1418هـ/ 1997م.
21- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، (دار المعرفة- بيروت)، 1383هـ/ 1963م.

- **ابن سعد، محمد بن سعد(ت: 230هـ).**

22- الطبقات الكبرى، (دار صادر- بيروت)، د. ت.

- **أبي السعود، قاضي القضاة محمد بن محمد العمادي(ت: 951هـ).**

23- تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، (دار احياء التراث العربي- بيروت)، د. ت.

- **السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد(ت: 489هـ).**

24- تفسير السمعاني، (دار الوطن- الرياض)، 1418هـ/ 1997م.

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت: 911هـ).**

25- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، (دار الكتب العلمية- بيروت)، 1418هـ/ 1997م.

- **ابن شاهين، الحافظ أبي حفص عمر بن شاهين(ت: 385هـ).**

26- تاريخ أسماء الثقات، تح: صبحي السامرائي، (دار السلفية- تونس)، 1404هـ/ 1984م.

- **ابن شهر آشوب، الامام الحافظ مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب(ت: 588هـ).**

27- مناقب آل أبي طالب، تح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، (المطبعة الحيدرية- النجف الأشرف)، 1376هـ/ 1956م.

- **الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير(ت: 310هـ).**

28- تاريخ الأمم والملوك، ط4، تح: نخبة من العلماء الأجلاء، (مؤسسة الأعلمي- بيروت)، 1403هـ/ 1983م.

29- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: صدقي جميل العطار، (دار الفكر- بيروت)، 1415هـ/ 1995م.

- **العجلي، أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي(ت: 261هـ).**

30- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، (مكتبة الدار- المدينة المنورة)، 1405هـ/ 1985م.

- **أبي الفدا، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل(ت: 732هـ).**

31- المختصر في أخبار البشر، (دار المعرفة للطباعة والنشر- د. م)، د. ت.

- **المجلسي، العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر(ت: 1111هـ).**

32- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، ط2، (مؤسسة الوفاء- بيروت)، 1403هـ،/ 1983م.

- **مسلم، الامام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت: 261هـ).**

33- الجامع الصحيح المعروف بـ: صحيح مسلم، (دار الفكر- بيروت)، د. ت.

- **المغربي، القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي(ت: 363هـ).**

34- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح: السيد محمد الحسيني الجيلاني، (مؤسسة النشر الاسلامي- قم المقدسة)، 1414هـ/ 1993م.

- **المسعودي، الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي(ت: 346هـ).**

35- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، تح: يوسف أسعد داغر، (منشورات دار الهجرة- قم المقدسة)، 1404هـ/ 1984م.

- **النسفي، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود(ت: 537هـ).**

36- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (د. مط- د. م)، د. ت.

- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت: 733هـ).**

37- نهاية الإرب في فنون الأدب، (مطابع كوستاتسوماس وشركاه- القاهرة)، د. ت.

- **ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري(ت: 218هـ).**

38- السيرة النبوية، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (المدني- القاهرة)، 1383هـ/ 1963م.

- **الواقدي، محمد بن عمر بن واقد(ت: 207هـ).**

39- المغازي، تح: مارسدن جونسن، (دانش اسلامي- ايران)، 1405هـ/ 1985.

- **اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت: 284هـ).**

40- تاريخ اليعقوبي، (دار صادر- بيروت)، د. ت.

ثانيا: المراجع.

- **الشاكري، حسين.**

41- شيخ البطحاء أبو طالب عليه السلام، (ستارة- قم المقدسة)، د. ت.

- **العسكري، نجم الدين.**

42- أبو طالب حامي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وناصره، (الآداب- النجف الأشرف)، 1380هـ/ 1960م.

- **الغروي، الشيخ محمد هادي اليوسفي.**

43- موسوعة التاريخ الاسلامي، (مؤسسة الهادي- قم المقدسة)، 1417هـ/ 1997م.

- **القمي، المحقق الشهير والمؤرخ الكبير الشيخ عباس.**

44- الكنى والألقاب، تح: محمد هادي الأميني، (الصدر- طهران)، د. ت.

- **الميلاني، السيد علي الحسيني.**

45- هوامش على كتاب المرتضى، ط4، (وفا- قم المقدسة)، 1430هـ/ 2010م.